

## المحاضرة الخامسة: التيار السلوكي (بافلوف، وسكينر)

### - مقدمة:

شكل التيار السلوكي ثورة في علم النفس، حيث حول التركيز من دراسة العمليات العقلية الداخلية غير الملاحظة إلى دراسة السلوك الظاهر والقابل للقياس، يرى السلوكيون أن الشخصية ليست سوى مجموعة من الاستجابات المتعلمة نتيجة التفاعل مع البيئة.

في هذه المحاضرة، سنتناول أبرز رواد هذا التيار: إيفان بافلوف بنظريته عن الاشارات الكلاسيكي، وفريدريك سكينر بنظريته عن الاشارات الإجرائي، وكيف أفكارهما في فهم وتشكيل الشخصية.

### أولاً: الإشارات الكلاسيكي إيفان بافلوف

إيفان بافلوف (Ivan Pavlov) كان عالم فسيولوجيا روسيا، حائز على جائزة نوبل، واكتشف مبادئ الاشارات الكلاسيكي أثناء دراسته لعملية الهضم لدى الكلاب (الزغول، 2021).

#### 1. مبادئ الإشارات الكلاسيكي:

تعتمد هذه النظرية على ربط مثير محايد بمثير طبيعي ينتج عنه استجابة طبيعية، ليصبح المثير المحايد قادراً على إحداث استجابة مشابهة:

- **المثير الشرطي (Unconditioned Stimulus-UCS):** مثير استجابة طبيعية تلقائية (مثل الطعام).
- **الاستجابة غير الشرطية (Unconditioned Response-UCR):** استجابة طبيعية تلقائية للمثير غير الشرطي (مثل سيلان اللعاب عند رؤية الطعام).
- **المثير الشرطي (conditioned Stimulus-CS):** مثير كان محايداً في البداية، ولكنه بعد قرانه بالمثير غير الشرطي يصبح قادراً على إثارة استجابة (مثل صوت الجرس).
- **الاستجابة الشرطية (conditioned Response-CR):** استجابة متعلمة للمثير الشرطي (مثل سيلان اللعاب عند سماع الجرس) (Schultz & Schultz, 2017).

#### 2. مفاهيم مرتبة:

- **الاكتساب (Acquisition):** عملية تعلم الارتباط بين CS و UCS.
- **الانطفاء (Extinction):** ضعف الاستجابة الشرطية وتلاشيها عند تقديم CS بشكل متكرر بدون UCS
- **الاسترجاع التلقائي (Spontaneous Recovery):** عودة الاستجابة الشرطية بعد فترة راحة من الانطفاء.
- **التعميم (Generalization):** الاستجابة لمثيرات مشابهة للمثير الشرطي.
- **التمييز (Discrimination):** الاستجابة للمثير الشرطي فقط دون المثيرات المشابهة (Feist et al, 2021).

#### 3. بناء الشخصية حسب بافلوف:

يرى بافلوف الشخصية من زاوية مادية وموضوعية تماما، معتبرين أنها نتاج تراكم العادات والارتباطات الشرطية(معوض،2010). وتتمثل في:

- **الشخصية كمجموعة من الأفعال المنعكسة:** بالنسبة لبافلوف الشخصية ليس كيانا غامضا، بل نظام معقد من الأفعال المنعكسة الشرطية. نحن لا نولد بشخصية جاهزة بل نبنيها من خلال التفاعل مع البيئة، فكل استجابة نتعلمها تصبح لبنة في بناء سلوكنا الكلي(Schultz\$schultz,2017).
- **الأنماط العصبية(الجهاز العصبي):** يرى بافلوف أن الفروق الفردية بين الشخصيات تعود إلى خصائص الجهاز العصبي للفرد. وقد صنف الأنماط العصبية بناء على ثلاثة خصائص:
  - **القوة:** قدرة الخلايا العصبية على العمل والتحمل.
  - **التوازن:** التوازن بين عمليات الاستثارة والكف (المنع).
  - **الحركية:** سرعة التحول من الاستثارة إلى الكف والعكس(Feist et al,2021).
- **تصنيف الشخصيات:** بناء على التفاعلات العصبية أعلاه، ربط بافلوف بين الجهاز العصبي وبين أمزجة الشخصية التقليدية:
  - **النمط القوي المتوازن المتحرك:** شخصية مرنة، نشطة، واجتماعية(المزاج الدموي).
  - **النمط القوي المتوازن الهادئ:** شخصية رصينة، بطيئة الاستجابة لكنها مثابرة (المزاج البلغمي).
  - **النمط القوي غير المتوازن:** شخصية تسيطر عليها الاستثارة، تميل للاندفاع والعدوانية( المزاج الصفراوي).
  - **النمط الضعيف:** شخصية سريعة التأثر، تميل للانطواء والقلق(المزاج السوداوي).
- **أنظمة الإشارة (الإنسان والحيوان):** ميز بافلوف بين مستويين في بناء الشخصية الإنسانية:
  - **نظام الإشارات الأول:** وهو الإدراك المباشر للمحيط(الحواس)، وهو مشترك بين الإنسان والحيوان.
  - **نظام الإشارة الثاني(اللغة):** وهو ما يميز الشخصية البشرية، اللغة عند بافلوف هي إشارة الإشارات، وهي التي تسمح للإنسان بتنظيم سلوكه وبناء شخصية اجتماعية واعية تتجاوز الغرائز المباشرة.
- **دور التعلم والبيئة:** بناء الشخصية عند بافلوف هو عملية تشريط مستمر. فالقيم، العادات، وحتى ردود الفعل العاطفية، هي استجابات تم ربطها بمثيرات معينة في البيئة، إذا تغيرت المثيرات والتعزيزات، يمكن نظريا إعادة تشكيل الشخصية(كيفافي،2010).

## ثانيا: الإشرط الإجرائي فريدريك سكينر

فريدريك سكينر كان عالم نفس أمريكي، ويعتبر الأب الروحي للسلوك الراديكالية، ركز على أن السلوك يتشكل من خلال عواقبه، وليس فقط من خلال المثيرات السابقة.

### 1. مبادئ الإشرط الإجرائي:

يرى سكينر أن السلوكيات التي تتبعها نتائج إيجابية تميل إلى تكرار، بينما السلوكيات التي تتبعها نتائج سلبية تميل إلى التوقف:

- **التعزيز(Reinforcement):** أي حدث يزيد من احتمالية تكرار السلوك.

- ✓ **التعزيز الإيجابي (Positive Reinforcement):** إضافة شيء مرغوب فيه بعد السلوك (مثل الثناء بعد عمل جيد).
- ✓ **التعزيز السلبي (Negative Reinforcement):** إزالة شيء غير مرغوب فيه بعد السلوك (مثل إزالة صوت مزعج عند ربط حزام الامان).
- **العقاب (Punishment):** أي حدث يقلل من احتمالية تكرار السلوك
- ✓ **العقاب الإيجابي (Positive Punishment):** إضافة شيء غير مرغوب فيه بعد السلوك (مثل توبيخ الطفل بعد سلوك سيء)
- ✓ **العقاب السلبي (Negative Punishment):** إزالة شيء مرغوب فيه بعد السلوك (مثل حرمان الطفل من اللعب بعد سلوك سيء) (Feist et al,2021).

## 2. جداول التعزيز:

تؤثر جداول التعزيز على قوة واستمرارية السلوك، ومنها:

- **التعزيز المستمر (Continuous Reinforcement):** تعزيز السلوك في كل مرة يحدث فيها.
- **التعزيز المتقطع (Partial Reinforcement):** تعزيز السلوك بشكل غير منتظم، وهو أكثر مقاومة للانطفاء.
- ✓ **نسبة ثابتة (Fixed Ratio):** تعزيز بعد عدد ثابت من الاستجابات.
- ✓ **نسبة متغيرة (Variable Ratio):** تعزيز بعد عدد متغير من الاستجابات (الأكثر فعالية).
- ✓ **فترة ثابتة (Fixed Interval):** تعزيز بعد فترة زمنية ثابتة.
- ✓ **فترة متغيرة (Variable Interval):** تعزيز بعد فترة زمنية متغيرة (Schultz & Schultz, 2017).

## 3. الشخصية كحسيلة للتفاعل مع البيئة:

يرفض سكينر المفهوم التقليدي لـ الشخصية ككيان داخلي ثابت أو روح محرّكة. بالنسبة له الشخصية هي:

- **مجموعة من الأنماط السلوكية:** التي يكتسبها الفرد من خلال تفاعله المستمر مع بيئته.
- **نتائج التعزيز والعقاب:** السلوكيات التي يتم تعزيزها (مكافأتها) تصبح جزءا من سمات الشخص، بينما السلوكيات التي تعاقب أو تهتمش تتلاشى (معوض، 2010).

## 4. نقد العقلانية والدافع الداخلي:

يرى سكينر أن الكلمات التي نستخدمها لوصف الشخصية (مثل الإرادة، الكرامة، أو الدوافع الداخلية) هي مجرد أو هام أو تسميات خاطئة، وهو يعتقد أن ما نسميه تفكير عقلائي هو في الأصل سلوك تشكل إستجابة لظروف بيئية معينة.

## 5. دور التعزيز في بناء السمات (الإبداع والقيادة):

أوضح سكينر أنه يمكن صناعة أو تطوير سمات شخصية إيجابية مثل الإبداع والقيادة من خلال:

- توفير بيئة تعليمية واجتماعية تعزز هذه السلوكيات تحديدا.
- استخدام آليات للتدريس وتقنيات التعلم المبرمج لتيسير اكتساب مهارات جديدة، تعيد تشكل هوية الفرد العملية (Schultz\$schultz,2017)..

## 6. أثر الطفولة واللغة:

- **اللغة:** تبنى الشخصية لغويا عبر التعزيزات التي يقدمها المجتمع اللفظي للطفل.
- **تطور الثقافة:** الشخصية لا تنمو في فراغ، بل تتطور الثقافة نفسها من خلال انتقاء البيئة لسلوكيات الأشخاص الذين يعيشون فيها، مما ينعكس بدوره على بناء شخصية الأجيال القادمة (Feist et al,2021).

خلاصة القول، ينظر سكينر للشخصية كمجموعة من الأنماط السلوكية المتعلمة من خلال التعزيز والعقاب، فالشخصية هب نتاج لتاريخ الفرد مع بيئته.

## - خاتمة:

ختاما، لقد قدم التيار السلوكي إسهامات هائلة في فهم كيفية تعلم السلوك وتعديله، وفتح الباب أمام تطبيقات عملية واسعة في مجالات العلاج السلوكي، التربية، وتدريب الحيوانات. ورغم أن السلوكيين قد أهملوا العمليات العقلية الداخلية، إلا أن تركيزهم على الملاحظة والقياس العلمي للسلوك قد أرسى أسس المنهجية التجريبية في علم النفس، ولا تزال مبادئهم تستخدم بفعالية في العديد من البرامج العلاجية والتعليمية.